الفصل السادس

انقلاب الثامن من شباط

مهّدتْ ثورة أيلول لقيام هذا الإنقلاب كما مهّدتْ فيما بعد لإنقلابات أخرى. فقد كانت عامل إضعاف لسائر الحكومات التي أعقبت نظام عبدالكريم قاسم مثلما كانت عاملاً لإضعاف نظامه.

كان الإنقلاب حصيلة إتفاق بين حزب البعث والضباط القوميين الناصريين. وقد إتصل هؤلاء بالحزب الديمقراطي الكُردستاني أثناء التحضير للإنقلاب وتعهّدوا بأن يحققوا جميع مطالب الثورة الكُردية بخصوص حقوق الشعب الكُردي السياسية. وكان حلقة الإتصال الضابط (طاهر يحيى) عن طريق صديقه الضابط الكُردي المتقاعد (كريم قرني) الذي قام بدوره بمفاتحة المكتب السياسي للپارتي. وكان مضمون الرسالة التي جاء بها إستعداد المتآمرين لمنح الحكم الذاتي (الأتونومي) لكردستان العراقية مرتهناً بنجاح الإنقلاب، مقابل مساعدة الثورة بوقف إطلاق النار والكفّ عن التعرض للجيش إلى غير ذلك مما يتطلبه الموقف من مساندة أو مساعدة قدر الإمكان.

كما طالب الإنقلابيون أيضاً أن ترسل قيادة الثورة برقية تأييد فورية لهم حالما يتأكّد نجاح الإنقلاب.

وقع قاسم غنيمة سهلة بيد الإنقلابيين فقد كان معظم جيشه مسمّراً في كردستان والقطعات المرابطة في بغداد كانت بيد الضباط المتآمرين على الأغلب. وقد كتب حول الإنقلاب وتفاصيله الكثير وليس من أغراض كتابنا هذا ترديد ما دُوِّن. ويغني عن الكثير من القول أن الهجوم كان مركزاً على وزارة الدفاع مقر قاسم من الجوّ ومن

الأرض. بعدها تمّ القبض على قاسم وأعوانه بعد قتال دموي داخل الوزارة وأقتيد إلى دار الإذاعة مقر قيادة المتآمرين وأعدم هناك بصورة بربريّة تنمّ عن غلاظة وشراسة لامثيل لهما.

صدرت كتب ومؤلفات عديدة عن (قاسم) وعن عهده بقلم مؤلفين مختلفي المشارب والنزعات وهم بين قادح ومادح. ولايقوم عندي شك في أن كلا الجانبين كانا متحيزين وان كثيراً من الحقائق قد أخفيت بسبب هذا التحيّز.

وخلافاً لإعتدائه على الشعب الكُردي وشنّه الحرب على كردستان وإنكاره الحقوق الكُردية فإني لاأجد مما سجله الكتّاب له نقطة يؤاخذ عليها خلاف هذا أو يتهمه بسوء نيّة في معالجته الأمور الداخلية رغم عثراته وأخطائه. كان بوسعه وهو في أوج سلطانه أن يقضي قضاءً تاماً على أولئك المتآمرين الذين حرموه وحرموا الشعب العراقي حتى من قطعة أرض يوارى فيها جثمان ذلك الرجل الذي أسس جمهورية العراق.

ورغم شنّه هذه الحرب الظالمة على الشعب الكُردي بكل ما جرّته من مآسٍ وويلات عليه وعلى الشعب العربي أيضاً فإني أقولها هنا أن مقتله لم يخلّف في نفسي أي شعور بالإرتياح والسرور. وقناعتي هي أنه رغم سوء عمله معنا فإنه أسمى وأعلى كثيراً من أولئك الذين قاموا بالإنقلاب في شباط.

في ١٣ آذار ١٩٧٠- بعد إعلان إتفاقية آذار، كنت في البصرة مع صالح مهدي عمّاش وهو آنذاك بمنصب وزير الداخلية فسألته: "لماذا قتلتم عبدالكريم قاسم ولم ترسلوه إلى خارج البلاد؟ وكيف كان موقفه عندما جئتم به إلى دار الإذاعة؟" فأجاب:

> "في الحقيقة إننا لم نُجرِ له محاكمة. وكان مجلس قيادة الثورة يتداول في مصيره عندما سمعت دوي صليات من بندقيات أتوماتيكية. فخرجنا نستطلع الأمر لنجد عبدالكريم والمهداوي وطه الشيخ أحمد جثثاً هامدة مزّقها الرصاص. كان من أمر بإعدامهم العقيد عبدالغني الراوي دون إذن منّا فقد أمر جنوده بفتح النار والقضاء عليهم."

من كلّ ما قرأت وسمعت حول تلك الواقعة المأساوية أن عبدالكريم قاسم لم يبدُ أثناءها متخاذلاً بل واجه المتآمرين بشجاعة ولاسيّما عبدالسلام عارف فإنه بقي إلى الأخير لايكلّمه ولايجيب عن أسئلته اللجوجة الملحّة عمّن قام بثورة الرابع عشر من تموز

محاولاً إنتزاع إعتراف منه ينمّ عن ضعف أو استخذاء.

قبل الشروع في الإنقلاب بأربعة أيام أرسل صالح اليوسفي للإجتماع بـ(علي صالح السعدي) أمين السرّ العام لقيادة البعث القطرية. وفي ذلك الإجتماع أكّد السعدي لمندوبنا بأن الحكم الذاتي للشعب الكُردي سيعلن فور نجاح الإنقلاب.

في اليوم الأول من الإنقلاب طلب مذيع إذاعة بغداد حضور العميد فؤاد عارف وصالح اليوسفي فوراً للإذاعة حتى يتمّ تأمين الإتصال بين قيادة الپارتي والبعث. ولكن صدر البلاغ المطول رقم (١) بتوقيع ما دعي بمجلس قيادة الثورة وليس فيه أي ذكر لحقوق الشعب الكُردي لا من قريب ولا من بعيد[١].

بدء الحوار بين الپارتي والنظام الجديد

سبق للپارتي أن تعهّد للإنقلابيين بوقف إطلاق النار وعدم التعرض للقوات الحكومية إلاّ في حالة الدفاع. وأوعز البارزاني لجلال الطالباني بالحضور إلى قلعهدزه لمراجعة آمر اللواء المرابط هناك وإبلاغه بقرار الثورة بوقف إطلاق النار وقد سُرّ الآمر بذلك فعلاً.

كان من الضروري أن تخلص نوايا الطرفين للتوصل الى الحل السلميّ المنشود. إلاّ أن حكام البعث لم يكونوا كذلك. وكما اتضح فيما بعد بأنهم ما كانوا يؤمنون أصلاً بأنّ للشعب الكُردي حقوقاً وان العدالة قبل الإتفاق تقضي الإقرار بتلك الحقوق. لذلك بدا من الصعوبة بمكان أن يُتوصل إلى الحقّ العادل المنشود مع مثل هذه الفئة من الحكام.

سرعان ما تبيّن أنّ العهد الذي قطعه علي صالح السعدي نيابة عن البعث كان مجرّد وعدٍ كاذب، أمام صالح اليوسفي وشوكت عقراوي، عندما قال "ليس من حقكم فحسب أن تنالوا الحكم الذاتي بل إن لكم فوق هذا حق تقرير المصير".

ويذكر بهذا الصدد أيضاً (طاهر يحيى) المفاوض فقد سبق وبعث برسالة لسكرتير الحزب إبراهيم أحمد يطلب فيها منه تسمية وزراء كُرد لضمهم إلى الحكومة الجديدة. مُقِراً أيضاً بقيام النظام الجديد على أسس الحكم الذاتي.

١- راجع نص البلاغ، الملحق رقم (١١)، قسم الملاحق.

بعد موافقة البارزاني كان جواب المكتب السياسي على الرسالة بما يأتي:

"«الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكردستان» هذا شعارنا وسياسة حزبنا. والأسماء التي نقترحها هي «بابا علي الشيخ محمود، فؤاد عارف، بكر عبدالكريم، عمر مصطفى، جلال الطالباني، علي العسكري»."

وكان إنقلابيو العراق يتوقعون إنقلاباً مماثلاً في سورية. وقد حصل ذلك فعلاً في الثامن من آذار ١٩٦٣، وخلال الشهر الذي فصل بين الإنقلابيْن كان بعث العراق يتعمد التسويف والمماطلة. فبعد عشرة أيام من قيام الإنقلاب ذهب جلال الطالباني على رأس وفد إلى بغداد وبدأ حواراً مع المسؤولين الحكوميين والحزبيين البعثيين هناك. وأُقنِع كل من جلال الطالباني وفؤاد عارف بالتوجه إلى القاهرة مع الوفد الرسمي الذي أُرسِل لمقابلة عبدالناصر وإجراء مباحثات معه حول الوحدة فوافق الطالباني من دون أخذ رأي البارزاني ورحل دون موافقة منه. ووصل الجميع القاهرة واجتمع عبدالناصر بالمندوبَين الكُرديَين لوحدهما مبيِّناً رأيه بأنه ضدّ الإنفصال لكنه يؤيد إعطاء حقوق الشعب الكُردي ونصح الطرفين بحلّ خلافاتهما بالطرق السلمية ولم تسفر مهمة الوفد عن شيء يذكر.

أول وفد رسميّ للنظام أرسل إلى البارزاني وصل (چوارقُرنه) برئاسة طاهر يحيى الذي أصبح رئيساً لأركان الجيش وعضواً في مجلس قيادة الثورة وكان بصحبته كلّ من باباعلي الشيخ محمود، وفؤاد عارف ومعهم العميد فتاح شالي.

فقام البارزاني بتسليم رئيس الوفد مشروع الحكم الذاتي المطلوب.

طرح المشروع على مجلس قيادة الثورة، وعلى اثر ذلك أرسل النظام وفداً شعبياً[٢] إلى قيادة الثورة في محاولة للتخفيف من المطالب التي تضمنها المشروع ولحملها على تبديل موقفها. كان البارزاني قد أنذر الوفد قبل عودته بأنه سيستأنف القتال إن لم تُجَب المطالب التي يضمها المشروع وضرب أجلاً أمده نهاية آذار ١٩٦٣.

٢- تألف الوفد الشعبي من محمد رضا الشبيبي، وفائق السامرائي، وحسين جميل، وفيصل حبيب الخيزران، والدكتور عبدالعزيز الدوري، وزيد أحمد عثمان.

ووصل الوفد چوارقُرنه وإلتقى بالبارزاني. وكانت حصيلة الإجتماع الإتفاق على نقاط تكون مبدأ للحل المنشود[٣]. ثم عاد الوفد. وفي اليوم الحادي عشر من آذار نشر النظام بياناً من المجلس الوطني لقيادة الثورة فصّل فيه سياسة الحكومة إزاء القضية الكُردية ومطاليب الثورة[٤].

٣- مطاليب الثورة المقدمة الى الوفد في ٥ آذار ١٩٦٣:
١- الإعتراف فوراً بالحكم الذاتي لكردستان مع إعطاء صورة من الإعتراف ودستور الجمهورية العراقية الى هيئة الأمم المتحدة، وإذاعته من إذاعة بغداد ونشره بالجريدة الرسمية والصحف المحلية.
٢- الحدود الجغرافية: شمالاً تركية، وشرقاً إيران، وغرباً سورية، وجنوباً سلسلة جبال حمرين.
٣- تكون اللغة الكردية اللغة الرسمية، كما وأن الدراسة تجري باللغة الكردية. أما في المناطق التي يسكن فيها مواطنون غير أكراد فتكون الدراسة بلغاتها الخاصة الى جانب تدريس اللغة الكردية.
٤- الحكم الذاتي:
أ- يكون الحكم برلمانياً ديموقراطياً على أن يتشكل من نائب لرئيس الجمهورية، ومن مجلس وزراء ومجلس وطني في كردستان، مع إبقاء وزارات الخارجية والدفاع والمالية مركزية مع تعيين وزراء دولة لهذه الوزارات في الحكومة الذاتية.
ب- يشترك في الوزارة المركزية للجمهورية العراقية عدد مناسب بنسبة عدد سكان كردستان، وكذلك ينتخب للمجلس الوطني العراقي عدد من النواب بنسبة سكان كردستان.
٥- الجيش:
أ- تحدد نسبة معينة من الجيش تتناسب مع نفوس كردستان. ويكون قوام الوحدات من أبناء كردستان من ضباط وضباط صف وجنود.
ب- يتألف الجيش من جميع الصنوف: القوة الجوية، المشاة، الدروع، المخابرة، الهندسة، المدفعية المضادة للطائرات.
جـ- إحداث مؤسسات عسكرية تشابه ما يوجد في الجمهورية العراقية.
٦- الميزانية العامة: وتتألف من واردات الضرائب والكمارك والمكس والرسوم إلخ... وبنسبة عادلة من عائدات النفط لاتقل عن ثلثي الواردات في كردستان.
٧- الإحتفاظ بقوات فصائل الأنصار الوطنية في كردستان لحين الإنتهاء من إكمال ملاكات الجيش. وتخصيص رواتب وإطعام ولباس لها.
٨- تشكيل الحكومة الذاتية المتوقعة من هذه المطالب.
٤- فيما يلي بيان المجلس الوطني لقيادة الثورة في تحقيق أهداف المواطنين الأكراد
عاش العرب والأكراد إخواناً تربطهم تربة وعقيدة ومصلحة، ولم يعكر صفو هذه الأخوة إلاّ الإستعمار والعملاء.
وجاءت ثورة ١٤ تموز لتحرير الشعب، وكان مما أكدته الأخوة العربية الكردية كما نص الدستور المؤقت. ولكن الإنحراف والإرهاب في عهد الطاغية عبدالكريم قاسم شمل الأكراد كما شمل العرب وأحلّ الفتنة محلّ الألفة، والريبة محلّ الثقة، وجلب الويلات على البلاد. وقامت ثورة الرابع عشر من رمضان المبارك لتزيل الإنحراف وتؤكد مباديء الحرية والعدالة، وترى من تعاون العرب والأكراد والقوميات الأخرى أساساً لوحدة العراق. ولمّا كان من أهمّ أهداف هذه الثورة ايضاً إقامة جهاز عصري يأخذ بأحسن الأساليب في الإدارة والحكم، ولمّا كان أسلوب اللامركزية أسلوباً تحققت فائدته بالتطبيق في مختلف أنحاء العالم، =

مؤتمر كويسنجق

لم يكن في هذا البيان ما يحقق شيئاً من أهداف الثورة. ولم يسفر الأخذ والردّ بين الحكومة وقيادة الثورة عن نتيجة. عندها إرتأى البارزاني إستشارة المكتب السياسي وعدد كبير من الزعماء الوطنيين المخلصين. فتمّ عقد إجتماع موسّع يضمّ الأطراف الشعبية والسياسية والمهنيّة تتمثل فيه المنظمات والنقابات والمعاهد العلميّة. وأُرسل الدعاة إلى كلّ أرجاء كردستان لأجل إختيار ممثلين.

شعر البارزاني أن الكُرد بحاجة إلى مؤتمر تمثيلي موسع، إلى شيء أكبر منه ومن الحزب، إلى جمعية عمومية تعبّر تعبيراً صادقاً عن الرأي العام الكُردي على النطاق القومي. وكانت تلك الفكرة من بنات أفكار ملا مصطفى وحده فهو صاحبها ومنفّذها وهو الذي سمّى بعض المندوبين وأرسل ممثليه إلى كلّ أرجاء الإقليم الكُردي لتجدّ في أثر المندوبين وتقوم بإرسالهم إلى المؤتمر.

ترك البارزاني عند إستكمال التحضيرات چوارقُرنه متوجهاً الى كويسنجق التي وصلها يوم ١٦ من آذار ١٩٦٣ وحلّ ضيفاً على واحدٍ من أصدَق أصدقائه وأخلص مقرّبيه الوطنيّ الكبير كاكه حمه زياد آغا كويسنجق. فوضع هذا داره تحت تصرّفه وتكفّل بكلّ واجب الضيافة له ولمرافقيه طوال مدة إقامته. وكان جزاؤه أنّ القوات الحكومية عند دخولها كويسنجق بعد إستئناف القتال دكّت داره تلك دكاً وسوّتها بالأرض.

إلتأم الإجتماع، الذي دعا لعقده البارزاني، في يوم ١٨ آذار ١٩٦٣ ودام أربعة أيام وانفض في ٢٢ منه. وقد حضره ما يناهز الألفين. وضم مندوبين عن الحزب وقياديين من جيش الثورة. ومن الوطنيين والمثقفين ورؤساء العشائر المؤيدين للثورة وممثلي الطوائف الدينية والقوميات الأخرى في كردستان ونظموا بنهاية الإجتماع مذكرةً للحكومة.

= لذلك وأخذاً بهذا الأسلوب وإنطلاقاً من مبادىء الثورة التي أعلنت في بيانها الأول تعزيز الأخوة العربية الكردية بما يضمن مصالحها القومية، ويقوّي نضالها المشترك ضد الإستعمار، وإحترام حقوق الأقليات الأخرى وتمكينها من المساهمة في الحياة الوطنية، لذلك فإن المجلس الوطني لقيادة الثورة يُقرُّ الحقوق القومية للشعب الكردي على أساس اللامركزية. وسوف يدخل هذا المبدأ في الدستور المؤقت والدائم عند تشريعهما. كما أنّ لجنة مختصة سوف تُشكّل لوضع الخطوط العريضة للامركزية.

المجلس الوطني لقيادة الثورة
١١-٣-١٩٦٣

تضمنت قرارات المؤتمر ثم انتخب وفد برئاسة جلال الطالباني حمل المشروعَ الذي تمّ التصويت عليه في المؤتمر[٥].

وصل الوفد بغداد في الثلاثين من آذار ١٩٦٣، وإنتدبت الحكومة أشخاصاً معينين للتفاوض مع الوفد الكُردي[٦]. وجرت محادثات بين الجانبين. وبدت وجهات النظر في بعض النقاط متقاربة. إلاّ أنّه وحينما بدأ الحديث حول الحدود التي سيمتد إليها الحكم الذاتي تباعدت وجهات النظر ولم يكن النظام مستعداً بأي شكل كان للتزحزح عن موقفه في رفض إبقاء كركوك وخانقين وسنجار وزمّار ضمن منطقة الحكم الذاتي. وتبيّن عند الوصول إلى هذه المرحلة أنهم كانوا يتهربون من النقاش ويتعمدون التغيّب عن الجلسات[٧].

عند الحديث حول الحكم الذاتي والمستقبل السياسي لكردستان العراق، كان الوفد الحكومي يبادر الى حرف الموضوع مثيراً مسألة ضرورة قيام البارزاني بتنفيذ تعهده بردِّ الأسلحة والتجهيزات الحكومية التي وقعت غنيمة بيد الثورة. وقد بعثوا ببرقيتين بطلب ذلك. مدللين بها على محدودية تفكيرهم[٨].

البيان رقم ١٣ بإبادة الشيوعيين

على اثر قيام الإنقلاب ونظراً للمقاومة التي أبداها أنصار قاسم والشيوعيون أصدر مجلس قيادة الثورة بيانه المرقم ١٣، وفيه أباح لأعضاء حزب البعث وأنصارهم قتل

٥- راجع النص في الملحق رقم (١٢) قسم الملاحق.

٦- المنتدبون الحكوميون: صالح مهدي عمّاش وزير الدفاع، وحازم جواد وزير الدولة لشؤون الجمهورية، وناجي طالب وزير الصناعة، وعلي حيدر سليمان السفير في وزارة الخارجية. وضم إليهم أعضاء الوفد الشعبي (أنظر الحاشية ٣ من هذا الفصل).

٧- راجع الملحق رقم (١٣) قسم الملاحق.

٨- هذا نص واحدة منهما:

إلى الملا مصطفى البرزاني- الحركات- رئاسة الأركان العامة

من الفرقة الثانية

العدد ١١٤٣ - ٩

التاريخ ٢٠-٣-١٩٦٣

يرجى إصدار أوامركم بإعادة كافة الأسلحة والأجهزة اللاسلكية وباقي التجهيزات الحكومية المستولى عليها من قبل جماعتكم منذ بدء حركات الشمال حتى الآن. *تسلم إلى اقرب موقع عسكري* رجاءً أنبئونا.

الشيوعيين وإبادتهم في كلّ مكان.

ألقي القبض على سلام عادل (حسين الرضي) سكرتير الحزب الشيوعي العراقي وعلى عدد من أعضاء اللجنة المركزية والمكتب السياسي وقتلوا بعد تعذيب وحشي. وباتت كردستان قبلة الشيوعيين بعد أن لم يعد من المقاومة جدوى. فإتجهوا إليها زرافات ووحداناً. ولكنهم لقوا معاملة سيئة جداً من المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكُردستاني إلاّ أن البارزاني وبأمر قاطع منه، استقبلهم وآمنهم على حياتهم ووفر لهم العيش الكريم وسمح لهم بالنشاط السياسي رغم ما إتّسم به موقف الحزب الشيوعي غير الإيجابي من الثورة في أيامها الأولى. وقد إعتبر البعثيون موقفه هذا عملاً عدائياً وعدّوه من جملة التهم التي ألصقت به فيما بعد زاعمين بأنه آوى أعداء النظام وأذن لهم بالعمل والنشاط المعادي.

كنت بين الكثيرين ممن إستمع إلى الأستاذ (عزيز محمد) وهو يصف لقاءه بإبراهيم أحمد في ماوَت. كيف أهانه وحقّره وضنّ عليه بالعون والرعاية بأي شكل ثم صرفه بما يشبه الطرد فرجع بقلب كسير وألم دفين، إلاّ أن الوحشة زالت تماماً عندما قابل البارزاني الذي إحتفى به وأكرمه وبسط عليه وعلى أعضاء حزبه الرعاية والحماية وأمَّن كلّ حاجةٍ لهم. وبقي عزيز محمد يذكر ذلك على سبيل المقارنة دائماً[٩].

كان من نتيجة هذه المعاملة الكريمة أن وضع الحزب الشيوعي العراقي إمكاناته بخدمة قيادة الثورة. وظلّ موقفه مشرفاً وأصبحت قيادته موضع ثقة بحيث أنيطت بهم قيادة منطقة هَندرين الحساسة وبقيت بيدهم حتى ١١ آذار ١٩٧٠ حيث أبلوا فيها البلاء الحسن وسقط منهم شهداء. وأبدوا من البسالة والإقدام ما عدّ من الأساطير حقاً.

كان لموقف البارزاني المبدئي من هذه الكارثة التي وقعت بالشيوعيين العراقيين رنّة صدى واسع في البلدان الإشتراكية وفي مقدّمتها الإتحاد السوفييتي إلى الحدّ الذي

٩- كان عزيز محمد موضع إحترام وتقدير كبيرَيْن من البارزاني. وكثيراً ما تغاضى عن مواقف سلبية للحزب الشيوعي الذي كان سكرتيراً عاماً له - إكراماً لخاطره. ومما أذكره في هذا الصدد أنه عندما حاول عزيز الحاج إحداث صدع في الحزب الشيوعي وطلب المجيء الى كردستان فأذن له وأقبل صحبة حبيب محمد كريم في آذار ١٩٦٨ الى ديلمان، وطلب من البارزاني دعماً، رُفض طلبه ونُصح بالعودة الى حزبه وأعرب البارزاني عن إستعداده للوساطة في الأمر. أذكر أنّ البارزاني قال لنا بعد هذا اللقاء، عليكم أن تتذكروا دائماً إنّي أدعم الجانب الذي يكون فيه عزيز محمد. أدركوا ذلك جيداً.

كسب البارزاني من خصومه وخصوم الشيوعيين واقصد البعثيين وفئات قومية أخرى لقب (الملا الأحمر) إستهزاءً وتهمةً. والشيء بالشيء يذكر أن هؤلاء أنفسهم وغيرهم كانوا يتهمون البارزاني قبلاً بالعمالة للإستعمار ويخلعون عليه لقب ربيب الإمبريالية المتعاون مع الغرب.

تشكيلات الحرس القومي

لم يكن لرجال البعث ثقة بالجيش العراقي لقلّة ما لديهم من ضباط منظمين فيه. لذلك مالبث أن حلّ الشك والريبة محلّ الصفاء بينهم وبين الضباط القوميين وهم كثرة. فبادروا إلى إلقاء القبض على عدد منهم وأخضعوهم إلى تعذيب بربري مسندين إليهم شتّى التهم وأضطروا الى أن ينشئوا تشكيلات شبه عسكرية من بين أعضائهم وأنصارهم. فأسسوا ما عرف (بالحرس القومي) وعيّنوا النقيب الطيار منذر الونداوي رئيساً له.

سرعان ما أصبحت يد الحرس القومي فوق يد كلّ السلطات وكان معظمهم من الأوباش وذوي السوابق والمجرمين، نشروا ظلاً من الإرهاب وإستحَلّوا الحرمات وأتوا من الفظائع والجنايات ما يقصر عن وصفه اللسان.

وبالصلاحيات الممنوحة لهم اصبحوا فوق القانون وتحدَّوا أوامر السلطة ولم يكونوا يصدعون بأوامر رؤسائهم، وضربوا عرض الحائط حتى بالأوامر التي كانت تصدر من صالح مهدي عمّاش بوصفه وزير الدفاع وهم خاضعون له رسمياً.

في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ تمت تصفية هذه الزمرة بالإنقلاب الذي قاده عبدالسلام محمد عارف على حكم البعث وتسلم السلطة الكاملة.

مكتب التحقيق الخاص

مصدر الإرهاب والخوف الأعظم الثاني كان جهازاً إستحدثه حكم البعث باسم "مكتب التحقيق الخاص" وأناط مسؤوليته بالمدعو (ناظم كزار) واتخذ له قصر النهاية (قصر الرحاب الملكي سابقاً) مقراً. كان يودع فيه خصوم السلطة السياسيين ليذوقوا النكال وألوان العذاب ويندر ان يخرج منه حيّ. وكانوا يتخلصون من جثث ضحاياهم بإذابتها

في حوض مليء بالتيزاب (الماء الملكي) واستخدموا من وسائل التعذيب الحرق وقطع الأوصال والتعليق. والقليل القليل ممن حالفه الحظ بالنجاة ندر أن خرج وهو صحيح العقل أو سليم من عاهة.

كتب السيد نعمان ماهر الكنعاني وهو ضابط قومي سابق ووزير في حكم الأخوين عارف كتاباً عنوانه "المنحرفون" أتى فيه إلى تفاصيل يقشعر من هولها البدن عن جرائم إجترحها الحرس القومي ومكتب التحقيق الخاص هذا الذي يشرف عليه ناظم كزار. يعجز المرء عن العثور على الكلمات والعبارات الدقيقة لوصف أعمال هذين الجهازين المقيتين. ان اليوم الذي شاهد ولادة هذين الجهازين هو ليس من الأيام التي تفخر بها البشرية ولايذكره التاريخ إلاّ بشعور من الخجل والعار. كان فاتحة لأيام سود متعاقبة على أديم العراق تتواصل لتنحدر به من سوء حالٍ الى أسوأ.

الأيام الأخيرة من الحوار

تبيّن بعد مرور بضعة أيام وعقد عدد من الإجتماعات أن النظام الجديد لايريد وضع حلولٍ معقولة أو عادلة للقضية الكردية. وبقي الوفد الحكومي المنتدب يتهرب ويماطل بعد ان خيّل له ان الوضع العام مستتب ولم يعد هناك ما يخشى منه على نظامه الجديد لاسيّما بعد نجاح إنقلاب سورية البعثي المماثل الذي زادهم ثقة بالنفس وتصلباً في المواقف. وبوشر اثر ذلك بمفاوضات ثلاثية عراقية- سورية- مصرية لإقامة الوحدة العربية، إلاّ أنّ المفاوضات التي بدأت في ١٧ نيسان ١٩٦٣ لم تسفر عن إتفاق ما خصوصاً وان عبدالناصر لم يكن يثق بالبعثيين أصلاً.

كانت السلطة تروغ من إلتزامها بالبحث حول المطالب السياسية الكُردية متعذرة بإنشغالها في محادثات الوحدة وبأنها لاتملك وحدها حق البت في الحقوق الكُردية دون المشاورة مع النظامين المصري والسوري وإستحصال موافقتهما المبدئية على الخطوط الأساسية لأي إتفاق محتمل مع قيادة الثورة الكُردية.

وكان جلال الطالباني قد قدَّم في يوم ٨ نيسان ١٩٦٣ مذكرة للوفد العراقي المشارك في مفاوضات القاهرة فصّل فيها تلك المطالب. واعتزم بعدها أن يعود مع فؤاد عارف وقد يئس من الوصول الى اية نتيجة. فحاول أعضاء الوفد العراقي حملهما على البقاء

مع وعودٍ وتأكيدات بإمكان الوصول الى نتيجة مرضية خلال المباحثات.

ذكرنا بهذا الصدد أن (جلالاً) أُقنع بالسفر مع الوفد الحكومي الى القاهرة بعد ان اكّد له أحمد حسن البكر رئيس الوزراء وطاهر يحيى بأنهما مخلصان في ايجاد الحلّ المرضي للطرفين. وأضاف البكر قائلاً ان البعث يخشى أن يستخدم عبدالناصر أي إتفاق من هذا القبيل سلاحاً دعائياً يشهره في وجههم عند الضرورة ولذلك وجد من المناسب ان يقوم فريق من أعضاء الوفد الكُردي بمرافقة وفد الوحدة الى القاهرة. واستقبل جمال عبدالناصر الوفد الكردي المؤلف من فؤاد عارف وجلال الطالباني[١٠].

وعاد الوفد الثنائي من القاهرة من غير أن يحصل تقدم في مسألة الحلّ السلمي المنشود، فضلاً عن تعثر مفاوضات الوحدة بالذات. وبقي سائر أعضاء الوفد الكُردي في بغداد حتى إلقاء القبض عليهم وزجهم في السجن وتعذيبهم حتى شباط ١٩٦٤. ولم يكن جلال الطالباني بين المقبوض عليهم - لأنه لم يعد وانما سافر من القاهرة الى أوروبا ثم عاد في أواخر العام ١٩٦٣ الى كردستان عن طريق إيران.

تردّي الأوضاع

أصبح واضحاً لقيادة الثورة أنْ لا أمل يُرتجى من أي مفاوضات مع النظام. وانّ هؤلاء الإنقلابيين لم يكونوا قطّ ينوون التفاهم أصلاً وإنما كان وعدهم الأولي قبل الإنقلاب يُقصد به تحييد الثورة الكُردية أثناء قيامهم بالإنقلاب وإطلاق يدهم في ما بعد لتصفية خصومهم وتأمين سيطرتهم على الجيش بإخراج الضباط غير الموالين لهم.

وما ان شعروا بأن في مقدورهم تحدي الثورة حتى بدأوا بالإستعداد لمواجهتها عسكرياً فاتصلوا بزعماء العشائر العربية والكُردية وسلّحوها وزوّدوها بالمال. وألّفوا من أفرادها فصائل أطلقوا على المرتزقة الكُرد منهم اسم "فرسان صلاح الدين" والمرتزقة العرب منهم اسم "فرسان خالد ابن الوليد". وأطلق العنان لأفراد الحرس القومي في المدن والحواضر الكُردية ليهتكوا الحرمات ويقتلوا ويصادروا الأموال والمقتنيات ويسوقوا الأبرياء من الكُرد الى السجون والمعتقلات ليخضعوهم الى التعذيب

١٠- راجع نص المذكرة وكذلك رسالة جلال الطالباني للبارزاني حول سير المفاوضات، وكذلك محضر لقاء الوفد الكردي مع جمال عبدالناصر، في الملحق رقم (١٤) قسم الملاحق.

الوحشي[١١].

في أواخر نيسان كانت بوادر العدوان ظاهرة للعيان. وضاعت الجهود التي بذلت للوصول الى حلّ سلمي لاسيّما بعد أن قال الشعب الكُردي كلمته في كونفرانس كويسنجق. وبات الوضع أشبه ببرميل بارود لايقتضي له غير شرارة للإنفجار.

الإستعداد للدفاع عن كردستان

قوبلت إستعدادات الحكومة لمواجهة الثورة بإستعدادات دفاعية من قيادة الثورة وشملت المنطقة الواسعة ابتداءً من خانقين حتى زاخو.

وتمّ تقسيم الجبهات الى أحد عشر قطاعاً نصب لكل منها قائداً.

فأُسند قطاع خانقين لحلمي علي شريف عضو اللجنة المركزية للپارتي، ووضع قطاع گرميان وشوان وسورداش بعهدة جلال الطالباني عضو المكتب السياسي للپارتي.

وأنيطت قيادة قطاع پينجوين وشارباژير وشهرزور بعهدة علي العسكري عضو المكتب السياسي.

وقطاع قلعەدزه ورانيه وكويه أثبتت بعهدة عمر مصطفى دبابه عضو المكتب السياسي، وسلّم قطاع سَفِين ودَشتي هَولِير (سهل أربيل) بعهدة محمد آغا ميرگەسوري. وقطاع سپيلك وبرادوست ودولي (وادي) پياو بعهدة العقيد الركن عبدالكافي النبوي.

وقطاع رواندز وبالَك وسِيدكان بعهدة المقدم الركن عزيز عقراوي.

وقطاع آكري وشيخان بعهدة حسو ميرخان دولُومَري. وقطاع دهوك بعهدة علي خليل.

وقطاع العمادية: بعهدة سَرلشكر بادينان أسعد خوشوي.

وقطاع زاخو بعهدة عيسى سوار.

ورسم أن يكون مقرّ الإدارة العام في بيتواته ومسؤوله علي شعبان.

١١- أرى واجباً عليّ أن أشيد هنا بالوقفة البطولية التي وقفها الشهيد الخالد الذكر عبدالرحمن عبدالكريم الجاف الملقب (عبدالكريم نفوس) الكادر الحزبي والعضو في لجنة محلية بغداد مسؤول الخط العسكري. ألقي القبض عليه وطبق عليه الحرس القومي كل فنون التعذيب التي مهر فيها فلم يعترف وبقي صامداً صامتاً حتى النهاية، وبذلك صان حياة العشرات من أعضاء الحزب العسكريين.

ووضعت قيادة منطقة بادينان بإشراف أسعد خوشوي. وأشرف المكتب السياسي على منطقة سوران. ووضعت قطعات جيش الثورة كلّها بأقصى درجات الإنذار.

وقرر البارزاني ان يتخذ مقراً له وسط كردستان. فاختار جبل برادوست الواقع خلف هاوديان وترك قرية طوبزاوه في منطقة كويه في يوم ٢٦ من نيسان ١٩٦٣ متوجهاً الى دولي (وادي) باليسان. ومكث في قرية (چيوي) ضيفاً على حاجي بديع چيوي مدة يومين وهو من أقرب أصدقاء البارزاني. وكان بصحبة البارزاني قوة ضاربة من صناديد البارزانيين ووقد كنتُ واحداً من أفراد هذه القوة التي تناهز الألف عداً. لي من العمر حينذاك سبع عشرة سنة وسلاحي بندقية من نوع برنو وهي هدية الوالد في كويه من جملة البندقيات الخمسين التي جلبها عمر مصطفى من إيران وقد إعتززت كثيراً بها واعتبرتها أثمن ما أملك وقتذاك. وقد عُرف هذا الطراز بدقة الإصابة وإحكامها.

في اليوم الثاني من أيار ١٩٦٣ بلغ البارزاني قرية بناڤي وكنت بمعيّته وفيما نحن في سبيلنا إليها اعترضتنا فتاة في مقتبل العمر لم تكد تبلغ العشرين من عمرها وهي تبكي وتصيح "أروني البارزاني". فتقدم منها الوالد وسألها عما تشكو. قالت "ان والدي زوّجني بشيخ يبلغ من العمر سبعين عاماً على سبيل المعاوضة بإمرأة أخرى. وأنا أريد ان تنقذني من هذه الزيجة". ثم تبين أنها كانت ترتبط بعلاقة عاطفية مع شاب في حوالي عمرها. فأمر البارزاني باستدعاء الوالد وراح يقول له ناصحاً: ان عملك هذا مناف للشرع، والقانون لايجيز هذا الظلم. وأناط بصديقه الحميم ملا عبدالباقي[١٢] مسؤولية حلّ المشكلة. ووفق بالأخير الى إزالة الغبن بأنْ رضي الزوج الهرم بفك رباط الزوجية صلحاً لقاء مبلغ من المال وعُقد للفتاة على مَن إختارته.

وكان خط مسيرتنا يقتضي عبور الطريق الى سريشمه فأرسل البارزاني رسالة الى آمر اللواء الثالث – وكان أحد أفواجه في خليفان. منبئاً إياه بأنّه يعتزم عبور الطريق الى الجهة الأخرى، مع أتباعه المقاتلين.

فتسلم البارزاني من العميد عبدالرحمن التكريتي هذه الإجابة العجيبة بكل ما تحمله

١٢- مناضل من سردشت (كردستان إيران) له تاريخ لامع في النضال يعود الى أيام جمهورية مهاباد. كان واحداً من ملازمي البارزاني ورفاقه المقرّبين دأب على تزويده بكلّ مايُذاع من أنباء عالمية ومحلية. وكان على إطلاعٍ واسع بما يستجدّ من الأحداث السياسية. توفي بداء السرطان في نهاية أيلول من العام ١٩٦٦.

من سخف ورقاعة:

"لا مانع لدينا من العبور لكن عليكم أن تسلّموا سلاحكم لنا ورافقتكم السلامة."

لاأظنّ قارئنا عاجزاً عن تقدير المستوى العقلي لهذا القائد العسكري الذي عُهدت اليه مصائر زهاء ألفي ضابط وجندي. كان الغرض من رسالة البارزاني تفادي المشاكل المحتملة وليس مضاعفتها بمشكلة أخرى. لذلك أمر البارزاني بإعداد خطة لتأمين العبور وأرسل قوات من الپيشمرگه الى المنطقة الواقعة بين خليفان وسپيلك وأنْ يقوم الپيشمرگه بإجتياز الطريق فصيلة بعد أخرى على ان يكون التجمع في غابة بأعلى (كَلَكين) وهي قرية مشرفة على خليفان. وبعد تمام العبور والتجمع تستأنف المسيرة نحو (سريشمه) وقد تم ذلك بسلام. الى جانب أهالي قرية سريشمه المخلصين والمتعاونين مع الثورة منذ البداية، كان هناك مخلصون آخرون من أبناء منطقة السورچية قدّموا مساعدة قيّمة في عملية العبور، أخصّ منهم بالذكر لاڤكه سورچي الذي بقي مخلصاً ووفياً للثورة حتى النهاية.

ثم وزعت القوات على القرى السورچية حوالي (سريشمه). ما شعر آمر اللواء إلاّ والقوات الثورية تحتل في يوم ٥ أيار جميع مرتفعات خليفان وتحدق بالقوات الحكومية من كل جانب. ووقع طريق المواصلات الرئيس للقوة ضمن مدى مرمى نيران الپيشمرگه وهي مهيأة لصدور أي أمر من البارزاني لبسط السيطرة التامة على المنطقة وصدق فيها مثلنا السائر: (المطرقة أدرى بموضع المسمار: كوتەک دەزانێ قۆناغ لەکوێیە).

قرية سريشمه

تقع هذه القرية غرب خليفان وأهلها من الوطنيين المخلصين منذ البداية. اختاروا لأنفسهم هذا السبيل دون ضغط أو إكراه والفضل في ذلك يعود الى كبيرهم (مام أحمد شاباز) الذي حبّذ لهم وروّج الدعوة للبارزاني والثورة. كان رجلاً رقيق الشمائل حلو الصحبة شديد الإخلاص لقائد الثورة.

أبقى البارزاني مقرّه في القرية لمدة ثلاثة أسابيع وفي اليوم التالي لوصول القوة الى تلك القرية عاد الى بارزان كلّ من اخوتي لقمان وإدريس وصابر، وأمّا أنا فمكثت لدى الوالد. وقد أصبت فعلاً بوحشة كبيرة لإنفصالي عن اخوتي.

في تلك الآونة بدأ عدد كبير من رؤساء الجاش يقصدون الوالد جماعة إثر أخرى لإعلان ولائهم. وإلتزم قسم بالعهد الذي قطعه وبقي موالياً ومشاركاً الى الأخير من أمثال عزت سليمان دَرگَلَيي ونكثت طائفة بعهدها وعادت للإنحياز الى جانب أعداء الثورة. كما اتضح فيما بعد أن إستخبارات الجيش ودوائر الأمن قد دسّت بعضهم بقصد الإستطلاع والتجسس.

وصل العم الشيخ بابو الى سريشمه في الحادي عشر من أيار لتفقد أحوال الوالد بعد مرور سنتيْن على آخر لقاء بينهما. وبقي معنا أسبوعاً واحداً ثمّ عاد الى بارزان. وأمرني الوالد أن أصحبه الى بارزان قائماً على خدمته على ان أعود برسالة جوابية هامة كان الوالد بإنتظارها. وهي كما تبيّن فيما بعد ردّ للشيخ أحمد كان الوالد ينتظره حول طلبه زيارته. قال لي قبل رحيلي: عند رجوعك لاتعُد الى سريشمه بل توقّف في قرية (هَناره) وهناك رجل يدعى (نفر هناري) أحد الاتباع المعتمدين المخلصين وهو يعلم بمكاني وسيأتي بك إليّ.

تسلّمت الجواب بالقبول من مولانا الشيخ أحمد يوم ٢٤ أيار ١٩٦٣، وشرعت في الساعة السادسة من صباح اليوم التالي بالمسيرة من (ريزان) متوجهاً الى قرية هَناره. وهناك وجدت (نفر) بإنتظاري فتوقلنا الجبل معاً حتى بلغنا القمة ثمّ سعينا الى مقرّ البارزاني وكان في مصيف (وشه كلي) بمقره تحت طُنُفٍ صخري واسع.

كان التعب والإرهاق قد نال منّي. فمسيرتنا كانت طويلة والصعود شاقاً عسيراً. وبصحبتنا إثنا عشر من الپيشمرگه الشبان الأشداء وأبلغت الوالد بأمر الشيخ. وقبل ان يسرع في الزيارة أصدر أمره بإناطة القيادة العامة وكالة بالعقيد الركن عبدالكافي النبوي إضافة الى قيادته جبهة سپيلك. وانطلقنا في يوم ٢٧ أيار نحو بارزان وكان معنا حوالي مائة من المقاتلين وخلفنا القوات الباقية وراءنا. وزار البارزاني بعض القرى وهو في سبيله. في اليوم الأول من حزيران بلغنا مصيف (بيركا ستري)، ويقع في الجزء الأعلى من سفح جبل شيرين وكان منزل الشيخ وقد إختاره إحتياطاً خشية قصف الطائرات إذ كانت البوادر كلها تشير الى إستئناف القتال. والمتوقع ان يكون التركيز على منطقة بارزان فقد صدر التوجيه الحكومي بتجميع قوات الفرسان المرتزقة حوالي بارزان وإيهامهم بأنّ إحتلالها عند بدء الحركات كفيل بالقضاء على الثورة.

بدء القتال

صدرت أوامر الحاكم العسكري العام بضرب الحصار الإقتصادي على كردستان في ٢٠ من أيار ١٩٦٣، كما وردت بعد منتصف الشهر أنباء عن وقوع عدة حوادث في كردستان تنذر بالسوء وتؤكد نية السلطة في التعرض العسكري، من ذلك قيام الحرس القومي بحملة سلبٍ ونهب ومصادرة لمقتنيات الناس في مختلف القرى وإلقاء القبض عليهم وتعذيبهم وزجهم في المعتقلات والسجون ومنها هجوم الحرس القومي بمعونة الشيخ حنش ومحمد شحاذه وطائفة من الجاش العرب بحماية مدرعات وإسناد مدفعي على قرية (تَلخيم) في دَشتي هَولِير (سهل أربيل). وقتل ستة رجال فيها.

الاّ ان إعلان الحرب رسمياً كان في يوم ١٠ حزيران ١٩٦٣. جاء ذلك ببيان عسكري صادر من مجلس قيادة الثورة منوّهاً ببدء العمليات العسكرية. ومبرراً القيام بذلك - بإيراد حوادث خرق للقانون وإعتداءات زعموها للپيشمرگه - ثلاثة وعشرون حادث إعتداء ارتكبوها هم أنفسهم إلاّ أنّ البيان ألقاها على عتبة القوات الثورية الكُردية.

أجاب صالح مهدي عماش عن سؤال في تصريح له حول بدء العمليات قائلاً إن ما يقوم به الجيش العراقي الآن عبارة عن نزهة وطنية[١٣].

وارتكب النظام جريمته الكبرى في السليمانية في ليلة ٩-١٠ حزيران ١٩٦٣، إذ قامت السلطة بإلقاء القبض على خمسة آلاف من الأهالي اختير منهم ستة وثمانون ليُدفنوا أحياءً وسُوّي الأخدود الذي حفروه لهم بالتراب.

كانت جريمتهم أنهم رفضوا البصاق على صورة للبارزاني حين عُرضتْ لهم وطُلب منهم إهانتها. ونُقل لنا أن أحدهم ردّ على هذا الطلب بقوله "ان بصقتم انتم على صورة رئيس جمهوريتكم عند ذلك سيكون لكم مبررٌ لطلبٍ مماثل منّا".

قام بهذه الجريمة الزعيم صديق مصطفى آمر اللواء العشرين بناءً على تعليمات وصلاحيات واسعة غير محدودة أعطيت للقادة والآمرين. فأطلقت أيديهم في تنفيذ عمليات القتل الجماعي والتعذيب وحرق وهدم المنازل والقرى ومصادرة الأموال بحق كل من يشكّون بتعاطفه أو تعاونه مع الثورة والپيشمرگه[١٤].

١٣- راجع نصّ البيان في الملحق رقم (١٥) قسم الملاحق.

١٤- بعد زوال حكم البعث وقيام الهدنة بين الثورة ونظام عبدالسلام - فسح المجال لإزاحة التراب عن هذا القبر الجماعي وإخراج الجثث. فوجد ان حوالي نصف العدد كان يرتدي ثياب النوم والبجامات دليلاً على =

بدأت العمليات العسكرية في الساعة الثامنة من صباح يوم ١٠ حزيران بغارات جويّة متعاقبة من طائرات بادجر وإليوشن وميگ على قرية بارزان والقرى المجاورة لها. ولم تقع خسائر كبيرة في الأرواح لحسن الحظ فقد كان الأهالي يتوقعون القصف فتركوا قراهم وانتشروا في الجبال إلاّ أن قنابل الحريق أحدثت أضراراً كبيرة في عدد من القرى وشبّت النيران في بعضها. واذكر تلك الغارة في يوم ١٢ حزيران التي خصصت لبارزان بالذات إذ أصيب مسجد القرية إصابة مباشرة بقنبلة زنتها خمسمائة كيلو. وأستشهد جراء ذلك إثنان أحدهما يدعى عثمان آغا. فقد شاء حسن الحظ ان يكون المسجد في تلك الساعة خالياً من المصلين.

وصدرت الأوامر بالإستعداد لهجوم عام تقوم به القوات الحكومية وأعلنت التعبئة العامة في جبهة القتال وفي الحواضر خاصة في المدن بإتخاذ الأهبة للطوارىء. ولم ينج أنصار الثورة وأعضاء البارتي والوطنيون من طائلة محافظ أربيل بدرالدين علي الذي صار يتعقبهم ويزجهم في المعتقلات ويذيقهم من النكال ألواناً. وقد تعقّبه فيما يظهر أحد ضحاياه وقتله في بغداد جزاءً وفاقاً. إلاّ أنّهم فشلوا في وضع حدّ لحياة العميد صديق مصطفى رغم تعقب آثاره فقد أمّن له النظام الحماية والحرس الكافي ولم تطاله يد العدالة. ثم اضطر بعد ان ضُيِّق عليه الخناق ان يغادر العراق الى القاهرة وجدّ طالبوه في أثره وتعقبوه الى هناك ووجدوا انه يسكن في القاهرة في منزل مجاور لحديقة الحيوان. وكان القضاء على حياته إذ ذاك من اسهل الأمور إلاّ أن المعقبين كفّوا يدهم عنه إحتراماً للشعب المصري وجمال عبدالناصر.

كان صيف العام ١٩٦٣ صيفاً قائظاً دموياً. يمثل أصعب فترة مرّت على الشعب الكُردي. فقد زجت الحكومة بكل ما تملكه من قوة في ميدان المعركة - بإعتبارها معركة مصيرية في عرفهم وكانت تأمل من الحملة الوحشية القضاء التام على الثورة وإخضاع الشعب الكُردي بعمليات إبادة مقصودة لشريحة كبيرة منه. في الواقع لم تكن حكومة بغداد وحدها في الميدان فقد سبق للنظام ان أمّن تعاوناً مع الدول المجاورة وغيرها ونخصّ منها بالذكر سورية فقد بعثت لواءً عسكرياً مجحفلاً هو (لواء

= أنهم اخذوا من بيوتهم عنوة الى حيث لقوا مصرعهم. وقد حملت الجماهير بقاياهم بتظاهرة صاخبة عارمة الى مقبرة (گردي سَيوان) حيث دفنت بإحتفال مهيب. ومن هؤلاء الشهداء: حاجي باقي وكمال حەمه فرج أفندي وإسماعيل إبراهيم علوچي وياسين صالح وحەمەبور وأنور سعيد دارتاش وعبدالمجيد رشيد وكمال علي پيروت ونامق مصطفى بگ وباباعلي شيخ معروف برزنجي.

اليرموك) بقيادة اللواء فهد الشاعر وهو من أقطاب البعث السوري، إذ أرادت حكومة بغداد ان تبدو معركتها هذه معركة قومية عربية بالدرجة الأولى. أرسل هذا اللواء فور وصوله الموصل الى الجبهة لمساندة لواء عراقي آخر إزاء قوات البيشمركه في قطاع زاخو. وسنتحدث فيما بعد عمّا أنجزه هذا اللواء وعن مصيره الفاجع.

وحصلت بغداد على تعاون وثيق من السلطات الإيرانية والتركية وكلاهما من أعضاء حلف المعاهدة المركزية (السنتو). فأمدّا النظام العراقي بإستقراءات الإستطلاع الجوي والأرضي (الإستخبارات) مثال ذلك البرقية التي إلتقطها جهاز إنصاتنا وهذا نصّها:

الى/ فق ١- رئيسي. فق ٢- رئيسي

العدد/٣٤٧٨/س

التاريخ ١٩٦٣/٧/٢

تمّ الإتفاق مع السلطات التركية والإيرانية بالسماح للطائرات التركية والإيرانية باجتياز خطّ الحدود والوصول الى الخط المار من سَرسنگ - خط عقره - رواندز. لإستطلاع أماكن تحشدات الخونة داخل الأراضي العراقية.

يرجى تبليغ كافة القطعات العراقية في منطقة الحركات الفعلية بعدم التصدي أو التعرض للطائرات التركية والإيرانية. سيصل قريباً ضابطين (ضابطا) ارتباط. أحدهم (أحدهما) من الجيش التركي والآخر من الجيش الإيراني. يكون الأول في الموصل والآخر في كركوك يستصحب كلّ منهما جهاز لاسلكي مع مُشَغّلين لتأمين التعاون مع قطعاتنا. (الساعة: ١٤٠٠)

أذكر ان الوالد علّق عند إطلاعه على البرقية قائلاً "لو كان لدي جهاز إذاعة (راديو) لأعلنت الآن وعلى التوّ إستقلال كردستان فبعد كلّ هذا، ماذا يريدون ان يفعلوا بنا؟"

كانت مقاومة البيشمركه وبلاؤهم في ساحة القتال تزداد بإطّراد ضغط القوات الحكوميّة على مواقعهم. من المفارقات السياسية العجيبة موقف الإتحاد السوفييتي في هذه الفترة. كان زعماؤه على دراية تامة بعمليات الإبادة الوحشية التي اجترحها النظام

بحق رفاقهم في العقيدة شيوعيّي العراق طوال فصولها المريعة - وجدنا السوفييت الآن يزوّدون هذا النظام بكل ما يطلبه منهم من سلاح وعتاد.

وتعاونت الحكومة البريطانية أيضاً مع النظام العراقي فباعت منه وفي هذه المرحلة بالضبط سربين من طائرات الهوكر هنتر ذات التأثير الكبير في قصف المناطق الجبلية بإمتيازها بالدقة في تعيين الأهداف. كما زوّدت إسپانيا القوة الجوية العراقية بقنابل الناپالم. ودخلت باكستان أيضاً حلقة التعاون بإرسالها عشرين ألف قذيفة مدفع ٥,٥ فضلاً عن ٥٠٠٠٠ قذيفة مدفعية جبلية زنة ٢٥ رطلاً. كانت إذاعات موسكو تتحدث عن أنباء سير القتال - إلاّ أنّها لم تكن مهتمة بالأمر كما كان المتوقّع منها وتجاهلته شأنها في ذلك شأن جميع وسائل الإعلام في الشرق أو الغرب. وسدّت السبل في وجه تظلماتنا فلم يصل شيء منها الى الخارج بسبب الحصار المضروب علينا من كلّ الجهات. لم يرتفع صوتٌ واحدٌ للدفاع عنّا أو قول كلمة طيبة بحق نضال الحياة والموت الذي نخوضه.

كان الإتحاد السوفييتي عند اشتداد الحملة على الشيوعيين في أوائل عهد البعث وفتور العلاقات بين الدولتين، قد أوعز لجمهورية منغوليا الشعبية بتقديم مذكرة في ٣ تموز ١٩٦٣ لمنظمة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة حول ما يعانيه الشعب العراقي في ظل حكومة البعث لكنه أسرع بالإيعاز إليها بسحب الشكوى بعد ضغوط مورست على الإتحاد السوفياتي من جانب الدول العربية.

وتصاعد حقد النظام بالمقاومة العنيدة التي جابهتها قواته بقيام طائراته بتعقب كل ما يتحرك على وجه الأرض وقصفه أو إصلائه بالمدافع الرشاشة مستهدفة بنوع خاص المواشي والحيوانات وقطعان الغنم وحرق كل ما نبت على الأرض من شجر مثمر وحقول قمح أو بيادر بغية تجويع الشعب الكُردي وحمله على الإستسلام.

المعارك الرئيسة

كان من خطة النظام ان يركز هجومه على جبهة معينة مع مشاغلة الجبهات الأخرى بقتال يسير متقطع. واختار بالأول من الجبهات جبهة آكري-پيرس بهدف الوصول الى بارزان وأناط المهمة بفرقتين: الأولى بقيادة العميد الركن عبدالكريم فرحان والثانية

بقيادة العميد الركن إبراهيم فيصل الأنصاري في جبهة ميرگەسور.

وكان تطبيق الخطة والحركة يصدران بإشراف مباشر من وزير الدفاع صالح مهدي عماش ورئيس أركان الجيش طاهر يحيى. كما كان عبدالسلام عارف يزور الجبهات بين آن وآخر وكان آمر القوة الجويّة إذ ذاك العقيد الركن عارف عبدالرزاق. وكل قناعة هؤلاء ان إحتلال بارزان كفيل بالقضاء على الثورة فأهملوا الجبهات كلّها كما أسلفنا وركزوا كلّ قواتهم في هذا القطاع.

قتال سَري آكري (عقره)

كان سَري آكري رأس التقدّم نحو بارزان. ولا حيلة للجيش إلاّ بالإستيلاء على الجبل المشرف على عقره ثم الإنحدار الى دولي (وادي) نَهله والإستيلاء على پيرس وإذ ذاك يكون الوصول الى بارزان في طريق (بله)، لذلك كان لجبل عقره قيمته الستراتيجية الهامّة. أوكل الدفاع عن هذا القطاع للقائد ملا شني قرطاس بيداروني ومعاونه عمر آغا دولُومَري وحادي حسكو وغزالي ميرخان ژاژوكي وأخيه الشقيق حسو ميرخان، وهم ممن صحب ملا مصطفى الى منفاه وكانوا على رأس ثلاثمائة وخمسين من نخبة مقاتلي البيشمرگه.

في ليلة ١٤-١٥ حزيران ١٩٦٣. وجهت مدفعية الجيش أفواه مدافعها وصبّت ناراً كثيفة من قنابلها على مواقع البيشمرگه. ثم وفي صباح اليوم الباكر بدأت موجات متعاقبة من طائرات الميگ والهنتر تقصف تلك المواقع ثم بدأ تقدم الجيش بلوائين من المشاة تعززهم قوة من الجاش تزيد عن خمسة آلاف.

ودام ضغط القتال الشديد على البيشمرگه حتى ظهر ١٥ حزيران ١٩٦٣، خفّت بعد ذلك وطأته بنكوص قوات السلطة على أعقابها بعد أن خلّفت وراءها أكثر من أربعين جثة. ثمّ استؤنف القتال بعد ظهر ذلك اليوم بقوات جديدة ومهّد له بقصف مدفعيّ كثيف جداً شمل منطقة واسعة من سفوح الجبل بحيث لم يبقَ شبرٌ واحد إلاّ ونالته الحمم ونجح العدو في الإستيلاء على قمة في غرب جبل عقره ومنه باشر بحركة إلتفاف. وأرغمت القوة المدافعة في آخر الأمر على الإنسحاب من الجبل رويداً رويداً بعد نفاذ ذخيرتها. وارتفعت بذلك معنويات الجيش مقابل هبوط معنويات البيشمرگه إذ لم يكن